

أو الأخلاق ، لأن كل النشاطات محكومة بالتوارث . ففعل الشيء الصحيح غير منفصل عن الطريقة الصحيحة لفعله (أمر لا شبيه له اليوم إلا في الحصار القهري) . وينتهي التعليم بسن البلوغ ، ويكون المرء ناضجاً عندما يكون عادياً من الناحية الاجتماعية . وما يناقض الاقتصاد البدائي للمجتمع المغلق ، هو أن نمط الشخصية المفروض على كل أعضائه ، يعنى التخصص المتطرف الذى يمكن أن يتنوع تنوعاً كبيراً من مجتمع مغلق لمجتمع مغلق آخر . فالنمط الأرابيشى Arapesh (فى غينيا الجديدة) - على سبيل المثال - متعاون ومسالم . أما النمط الدوبوى Dobu (جزيرة فى المحيط الهادى) فهو شديد الشك فى الآخرين . والأفراد المنحرفون الذين يفشلون فى التواءم مع الوضع يجب أن يصبحوا إما نساءً ، وإما مخربين . والفن كوسيلة لإشباع حاجات نفسية داخلية ، والعلم كوسيلة لإشباع حاجات مادية خارجية ، متضمنان فى مركب غير متمايز من النشاطات المشاعة ، ولا يمكن التحقق من أن بلاء تَحْدِيثِ عملية تعزيم سحرية تختلف اختلافاً جوهرياً عن طعنة مدية .

أما الديانة التى يعيش بها هذا المجتمع المغلق ، فهى متعددة الآلهة : وقد يوجد فاصل وإو جدًّا - أو لا فاصل بالمرء - بين الشخصى والعالمى . أو بين الرمز ودلالته . أما فى طقوسه وتنظيماته فلا يتعلم التمييز بين الفروض أو العروض التى يمكن التيقن من صحتها أو خطئها بالتجريب المباشر . ولا بين الافتراضات المسبقة أو اعترافات العقيدة . ومادام الفرد لا يختلف إلا نادراً عن المجموع . ومادامت التقنية بدائية ، فإن الحرية بشكل عريض تتمثل فى الوعى بالضرورة السببية . إما فى قوى الطبيعة ، وإما فى قوى الضغوط الاجتماعية المتوارثة ، ولا يمكن أن تتمثل - تلك الحرية - إلا بنسبة ضئيلة جدًّا فى الوعى بالضرورة المنطقية . وشعار مثل هذا المجتمع هو نشيد « بيرجنت » : هذا يكفى نفسك .

والمجتمع المفتوح المثال - من جهة أخرى - لم يكن يعرف الحدود الفزيائية . أو الاقتصادية . أو الثقافية . فهو على وعى بما يملكه . وبما يفتقر إليه ، ويمكنه أن يتبادل إمكاناته بحرية مع كل المجتمعات الأخرى . كما أنه متخصص من ناحية العمل ، ومجال الاختيار للعاملين متسع جدًّا ، حتى لا تجد شخصاً - مهما كانت طبيعته استثنائية - لا يستطيع أن يجد عملاً فى مهنته الأصلية . ومثل هذا المجتمع يكون متسامحاً ، لأنه يجد أن كل نوع من الأفراد نافعاً ، وأن أعضائه من الناحية الاجتماعية - مسئولون ، لأنهم على وعى بأن الآخرين فى حاجة إليهم .